

تفسير ابن كثير

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ^ج قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ
أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ^ط فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ

وقوله تعالى : (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين) قال السدي بإسناده المتقدم إلى الصحابة : لما مات الغلام تركه بالعراء ، ولا يعلم كيف يدفن ، فبعث الله غرابين أخوين ، فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حشى عليه . فلما رآه قال : (قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى) . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : جاء غراب إلى غراب ميت ، فبحث عليه من التراب حتى واره ، فقال الذي قتل أخاه : (قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى) وقال الضحاك عن ابن عباس : مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة ، حتى بعث الله الغرابين ، فرأهما يبحثان ، فقال : (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) فدفن أخاه . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : وكان يحمله على

عاقبه مائة سنة ميتا ، لا يدري ما يصنع به يحمله ، ويضعه إلى الأرض حتى رأى الغراب
يدفن الغراب ، فقال : (يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي
فأصبح من النادمين) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وقال عطية العوفي : لما قتله ندم .
فضمه إليه حتى أروح ، وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله . رواه
ابن جرير . وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : لما قتله سقط
في يديه ، ولم يدر كيف يواريه . وذلك أنه كان - فيما يزعمون - أول قتل في بني آدم
وأول ميت (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا
ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) قال :
وزعم أهل التوراة أن قينا لما قتل أخاه هايل قال له الله عز وجل : يا قين أين أخوك
هايل ؟ قال : قال : ما أدري ، ما كنت عليه رقيبا . فقال الله : إن صوت دم أخيك
ليناديني من الأرض ، والآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهها فبلعت دم أخيك من
يدك ، فإن أنت عملت في الأرض ، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في
الأرض . وقوله : (فأصبح من النادمين) قال الحسن البصري : علاه الله بندامة بعد

خسران .فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة ، وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه ، كما هو ظاهر القرآن ، وكما نطق به الحديث في قوله : " إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل " . وهذا ظاهر جلي ، ولكن قال ابن جرير :حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن - هو البصري - قال : كان الرجلان اللذان في القرآن ، اللذان قال الله : (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) من بني إسرائيل ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بني إسرائيل وكان آدم أول من مات . وهذا غريب جدا ، وفي إسناده نظر .وقد قال عبد الرزاق عن معمر ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن ابني آدم ، عليه السلام ، ضربا لهذه الأمة مثلا فخذوا بالخير منهما .ورواه ابن المبارك عن عاصم الأحول عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلا فخذوا من خيرهم ودعوا الشر " .وكذا أرسل هذا الحديث بكر بن عبد الله المزني روى ذلك كله ابن جرير .وقال سالم بن أبي الجعد : لما قتل ابن آدم أخاه ، مكث آدم مائة سنة حزينا لا يضحك ، ثم أتى فقيل له : حياك الله ويياك . أي : أضحكك .رواه ابن جرير ثم قال :

حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن غياث بن إبراهيم عن أبي إسحاق الهمداني قال : قال
علي بن أبي طالب : لما قتل ابن آدم أخاه ، بكاه آدم فقال : تغيرت البلاد ومن عليها فلون
الأرض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعموكل بشاشة الوجه المليح فأجيب آدم عليه
السلام : أبا هابيل قد قتلا جميعا وصار الحي كالميت الذي حوجاء بشرة قد كان منها على
خوف فجاء بها يصيحوا الظاهر أن قابيل عوجل بالعقوبة ، كما ذكره مجاهد بن جبر أنه
علقت ساقه بفخذه يوم قتله ، وجعل الله وجهه إلى الشمس حيث دارت عقوبة له
وتنكيلا به . وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه] قال : " ما من
ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة ، من البغي
وقطيعة الرحم " . وقد اجتمع في فعل قابيل هذا وهذا ، فإننا الله وإنا إليه راجعون .